برنامج وذكّر

الدكتور محمد خير الشعال

(الحلقة الخامسة)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، مرحباً بكم أيها الإخوة مرة جديدة في حلقة جديدة من برنامج (وذكر) ، عنوان حلقة اليوم :

((خمسة في الذنب أكبر من الذنب))

نحن كلنا يا أيها الإخوة نذنب، هكذا الإنسان : ((**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**)) [الترمذي] لكن إذا أذنبت فلا تفعل خمساً، لأن أموراً خمسة هي أكبر من الذنب بحد ذاته، ما هي هذه الأمور الخمسة التي هي أكبر من الذنب وهي موجودة في الذنب؟ هذا هو حديث اليوم .

الأمر الأول : لا تُصِرَّ على الذنب

الإصرار يجعل الصغيرة كبيرة، لا تقل أنا سأبقى قائماً على هذا الذنب، لا تقل أنا سأبقى ممارساً لهذا الذنب، لا تصر على ذنبك حتى لا تكون من الذين يبارزون الله عز وجل بالمعصية، بل إذا أذنبت فتب، إذا وقعت فقم، إذا سقطت فارفع نفسك، ولا تبقى أرضاً، ليس العيب أن تقع ولكن العيب أن تبقى أرضاً، لقد كان **النبي صلى الله عليه وسلم يقول:** ((**والله إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**))[البخاري] **وفي رواية :** ((**أكثر من مائة مرة**)) [أحمد والطبراني].

ما معنى هذا الحديث يا أيها الإخوة ؟

كأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لك ويقول لكِ : لو استغفرت في اليوم سبعين مرة لا تستحي أن ترفع إلى الله، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر الله ويرجع إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وأكثر من مائة مرة، لو أخطأت مائة مرة لا تستحي من العودة إلى ربك ((**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ..**)) [مسلم وأحمد]

شاب أطاع الله عشرين سنة ثم زلت قدمه وعصاه عشرين سنة، لقد ارتكب أشياء كبيرة، في ليلة من الليالي عاد من ليلة حمراء صاخبة إلى داره، كان ثملاً وقد أصابه من الفحش ما أصابه، دخل بيته ووراء الباب كانت هناك مرآة، نظر في وجهه وكأن حديثاً في الداخل حركه، رأى وجهه المظلم، رأى آثار الذنب تملأ وجهه، نظر إلى قلبه القاسي الذي جفّ من بعده عن ربه، وكأن الله أراد به خيراً فذكره بأيامه السابقات، التي كان فيها قريباً من حضرة الله، دمعت عينه وبدأ يبكي، **ثم قال بينه وبين نفسه**: إلهي كنت قريباً منك ثم ابتعدت عنك، تراك إذا رجعت إليك تقبلني، **كأن حديثاً في داخله حدثه وقال**: أطعتنا عشرين سنة فأحببناك، وعصيتنا عشرين سنة فأمهلناك، وإذا عدت إلينا قبلناك، قبلناك، قبلناك.

يا من ابتعدت عن ربك ارجع الآن، ارجع لأن الله يمد إليك يده جل جلاله، يريدك أن تعود، إنه يبسط يده للتائبين، وإنه يحب المقبلين، وإنك إن اصطلحت معه اصطلحت مع وجودك كله.

خمسة في الذنب أكبر من الذنب، إذا أذنبت لا تفعل خمساً، لا تُصرّ فالإصرار على الذنب أكبر من الذنب، وإني لأرى رجعتك إليه قريبة، وإني لأرى عودتك إلى طاعته قريبة.

الأمر الثاني : لا تُسَر بالذنب

لا تفرح بالمعصية، فالفرح بالمعصية أكبر من المعصية، وفرق كبير يا أيها الإخوة بين من يذنب ويبكي وبين من يذنب ويضحك، فرق كبير يا أيها الإخوة بين من يذنب ويتألم من ذنبه ويتألم من بعده عن ربه ويتألم ويضيق صدره مما يفعل، وبين من يذنب ويبتسم ويُسر ويعتقد بأنه حقق انتصارات عالية، أتفرح بأنك خالفته، تذكرون يا أيها الإخوة الآية الكريمة في سورة التوبة عندما تخلف أناس عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، لقد كانوا فريقين : فريق الله عز وجل لم يتب عليه وفريق تاب الله عليه، الذين لم يتب الله عليهم هم الذين فرحوا بمعصيتهم، **قال تعالى** : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ

كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾[التوبة : 81]، **لكن بالمقابل** :﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : 118] إذا أذنبت لا تفرح، إذا أذنبت لا تُسر.

خمسة في الذنب شرٌّ من الذنب، أكبر من الذنب، الإصرار على الذنب أكبر من الذنب، والفرح بالذنب أكبر من الذنب.

ثم الأمر الثالث : المجاهرة بالذنب أكبر من الذنب:

إذا أذنبت لا تجاهر ، إذا بُليتم بالمعاصي فاستتروا يا أخي لا تفضح نفسك، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ))**[البخاري ومسلم] وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل العمل بالليل ثم يفضح نفسه في النهار ، فإذا أذنبت لا تجاهر واستر عليك لأن الله ستير يحب الستر، واستر من غيرك ما تحب أن يستر الله تعالى عليك فيه، وما تحب أن يستر غيرك عليك.

خمسة في الذنب أكبر من الذنب : الإصرار على الذنب أكبر من الذنب ، السرور بالذنب أكبر من الذنب ، والمجاهرة بالذنب أكبر من الذنب .

رابعاً: واستصغار الذنب أكبر من الذنب :

بعض الناس يا أيها الإخوة يذنبون الذنوب ثم يقول يا أخي ماذا عملت ، انظر إلى غيري فأنا عملت أمراً صغيراً ، قال الصالحون : **(لا تنظر إلى صغر الذنب وانظر إلى عِظَم من خالفت)** أنت خالفت جبار السماوات والأرض، أتخالفه، لا تستصغر الذنب، وما دمت ترى الذنب صغيراً فنحن نخاف أن يُعد عليك كبيرة، وما دمت ترى الذنب كبيراً فنحن نطمئن إن شاء الله أن يجعله الله تعالى صغيراً، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ))**[أحمد والطبراني] أرأيت إلى النار

العظيمة كيف تُصنع، إنها تبدأ الصناعة من نار صغيرة ، أرأيت إلى الحطب الكبير كيف يُوقد، إنه يوقد بقطع صغيرة من هذا الحطب، خمسة في الذنب أكبر من الذنب، لا تصر ولا تسر ولا تجاهر ولا تستصغر.

ثم خامساً وأخيراً : لا تدعُ إلى الذنب:

من أصعب الأشياء أن تكون نائباً عن إبليس في عمله، أتدري ماذا يفعل إبليس، كلنا يدري، إنه يدعوا إلى المعاصي، فلا تدعوا الآخرين إلى المعصية، أنت كريم شأنك أن تدعوا إلى الطاعات لا أن تدعوا إلى المعاصي والمنكرات، أنت نبيل مفطور على الكرامة وعلى الرفعة وعلى الدعوة إلى الخير، فلا تدعوا إلى الشر، لا تدعوا إلى معصية، لا تدل أصحابك على مكان المعصية ولا على زمان المعصية ولا على جو المعصية حتى لا تكون نائباً عن إبليس في عمله.

هذه خمسة في الذنب أكبر من الذنب ، غير أني أُحب أن أختم الحلقة بأن أقول لك:

إذا أذنبت فدع للصلح موضعاً، ذكروا بأن رجلاً كان قاطع طريق، مرة قطع الطريق على أناس وكبّل منهم بعضهم، أخذوا منهم الأموال وأخذوا منهم الطعام وأخذوا منهم الشراب وأخذوا منهم كل شيء ثم كبلوهم، وكان زعيم عصابة اللصوص مع عصابته هو الذي يمارس هذه الكبيرة من الكبائر قطع الطريق، لما انتهت العصابة من قطع هذا الطريق جاؤوا بالطعام وبالفاكهة وبالشراب إلى سيدهم وراحوا يأكلون ويشربون ثم قدموا لسيدهم قاطع الطريق طعاماً فاعتذر ، وقال أنا لا آكل لأني صائم ، عجب هؤلاء الذين قُطع عليهم الطريق وقال أحدهم: أتقطع الطريق وأنت صائم ؟ قال : يا رجل أدع للصلح موضعاً، تمر الأيام ويجد هذا الرجل قاطع الطريق حول الكعبة يطوف ودموعه تغسل وجهه ، قيل له : يا رجل ألست أنت الذي قطعت علينا الطريق في يوم كذا وكذا وكنت صائماً ، قال: نعم، قال: أراك الآن تحج حول الكعبة ، قال : ذاك الصيام قد بلغ بي هذا المقام ، إذا أذنبت فدع للصلح موضعاً ، هذه هي الخمسة في الذنب التي هي أكبر من الذنب، أسأل الله عز وجل أن يتوب علينا جميعاً في هذه الأيام الخيرات ، وأن يجعلنا من أهل الطاعات وإذا أذنبنا أن نعود إليه مسرعين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .